التعقيبات التأكيدية في القرآن الكريم للحكم الشرعي مفهومها خصائصها وأغراضها - دراسة تأصيل وتطبيق

د. عبد المعين محمد علي جيدي القبيسي
جامعة بايرو ، كنو ، نيجيريا
مركز البحوث والدراسات الاسلامية / قسم الشريعة والدراسات الاسلامية

المستخلص ..

يعنى هذا البحث بدراسة التعقيب القرآني الذي يقع في ختام الآية القرآنية أو بعد أي مقطع مكتمل المعنى من الآية القرآنية لأغراض تأكيدية تناسب خطاب النص القرآني التشريعي ، كما أظهرت الدراسة أنواع التعقيبا ت القرآنية وخصائصها وأغراضها .

وتظهر أهمية هذه الدراسة كونها تؤصل وتستقرئ وتطبق لموضوع مهم في فهم الحكم الشرعي ومقاصده ومراتبه قل من تطرق إليه فضلا عن دراسته إلا إشارات عابرات عن الإمام المقاصدي المفسر: العز بن عبد السلام .

وخلص البحث إلى أن التعقيبات هي جزء مكمل للخطاب التكليفي المقصود بسياق النص القرآني ، ويكون خادما له بالتأكيد والتقرير ، لحث المكلف على الامتثال والانسياق لتطبيق النص وأغراضه .

الكلمات المفتاحية: التعقيبات التأكيدية ، الحكم الشرعي ، مفهوم ، خصائص، أغراض ، تأصيل، تطبيق.

Assertive comments on the Islamic ruling, its concept, characteristics and purposes - a study of rooting and application

Dr. Abdel Moein Muhammad Ali Jeedi Al Qubaisi
Department of Sharia and Islamic Studies / Center for Research and Islamic Studies / University of Bairro, Keno, Nigeria

Abstract :

This research is concerned with studying the Qur'anic commentary that falls at the end of the Qur'anic verse or after any full-meaning part of the Qur'anic verse for affirmative purposes that fit the discourse of the Qur'an legislative text, as the study showed the types of Qur'anic commentaries, their characteristics and purposes.

The importance of this study appears as it is rooted, extrapolated and applied to an important topic in understanding the legal ruling, its purposes and its ranks.

The research concluded that the commentaries are an integral part of the assignment discourse intended in the context of the Qur'an text, and serve it with certainty and determination, to urge the taxpayer to comply and be inclined to implement the text and its purposes.

Keywords: affirmative comments, Sharia judgment, concept, characteristics, purposes, rooting, application.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل القرءان حجته البالغة على خلقه ، وأنزل كتابه بلسان عربي مبين

والصلاة والسلام على عبده ورسوله المؤيد بالقرءان المعجز الذي تحدى الله به الخلق بأقصر آية منه ، ليكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد

موضوع البحث :

يهدف هذا البحث دراسة عادة من عادات القرءان الكريم في خطابه التشريعي وهي أن يبدأ بممهدات ومقدمات شتى إلى المقصود الأساسي في خطاب الآية القرآنية ثم يثنيه بتعقيبات متنوعة ذات أغراض تأكيدية بالأساس لها خصائصها وأغراضها تقريرا للمقصد الأساسي في سياق الآية القرءانية .

أهمية البحث:

من الأهمية بمكان فهم هذا الأسلوب القرءاني في مجال الاستنباط وتطبيق النص على الواقع في شتى المجالات التشريعية والتربوية والدعوية ومراتب المقاصد الشرعية .

منهج البحث والدراسات السابقة :

تأتي هذه الدراسة تأصيلاً واستقراءً وتطبيقاً وتحليلاً يعكس خصائص وأغراض هذا الاسلوب القرآني الذي ألمح إليه بإشارة عابرة الإمام المقاصدي والمفسر الكبير العز بن عبد السلام رحمه الله وهو يتكلم عن أسلوب القرآن في الخطاب التشريعي من خلال هيكل الآية القرآنية ونظمها ولم أجد لغيره هذا المفهوم .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث في الموضوع أن يكون على الخطة التالية :

- المبحث الأول: تعريف التعقيبات القرآنية وعلاقتها بالفاصلة القرآنية
- المبحث الثاني : أنواع التعقيبات القرآنية
- المبحث الثالث: خصائص التعقيبات القرآنية
- المبحث الرابع: الأغراض العامة للتعقيبات القرآنية.
- الخاتمة والنتائج .

المبحث الأول
تعريف التعقيبات القرآنية وعلاقتها بالفاصلة القرآنية

تعريف التعقيب القرآني

المقصود بالتعقيب القرآني: الجزء أو المقطع من الآية القرآنية الذي يقع في ختام الآية القرآنية، أو بعد أي مقطع من الآية مكتمل المعنى سواء في وسط الآية ، أو سغيرها ، لأغراض تأكيدية مختلفة تناسب ما سبقه من الآية.[1]

وذلك يتجلى في النفاط الآتية :

1/ **التعقيب القرآني** : يأتي تعقيباً على حكم شرعي سبقه ، ويكون تذييلا له لأغراض تناسب ذلك الحكم الشرعي يأتي بيانها في ثنايا هذا المبحث.

2/ **من حيث ارتباطه بما يعقب عليه وعدم إرتباطه من حيث الإرتباط** – فإنه يكون مستقلاً أو شبه مستقل من حيث الإعراب ؛ لذا يكون معناه مستقلاً من المقطع الذي يعقبه مع التناسب الكامل بينهما ، وذلك بين في الآيات الطويلة في المدني والمكي .

3/ **موقعه يكون غالبا في نهاية الآية حيث يختم كتعقيب يمثل الختم التوقيعي لمعنى الآية** – إن صح

(1) جاء بعض هذا التعريف عند : أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن ، / 91 .

التعبير، وقد يكون في وسط الآية ، حيث يأتي تعقيبا لمعنى جاء في المقطع الذي سبق بعد إكتمال معناه الأساسي .

ولنمثل لهذه الدلالات التي أخذناها من تعريفنا السابق للتعقيب القرآني بأمثلة قرآنية تعكس لنا هذا المفهوم ، وكما ذكرنا فإن هذا المفهوم يتجلى واضحا في الآية الطويلة التي تتضمن عدة مقاطع يكون فيها أحكام ، وتوجيهات مختلفة تؤكد تلك الأحكام بشتى طرق التوكيد .

التطبيق العملي لمفهوم التعقيب القرآني السابق

ولنأخذ مثلا قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ البقرة: 221 . فهذه الآية تتضمن بالأساس حكمين شرعيين هما : النهي عن زواج المشركات حتى يؤمن، والنهي عن تزويج المشرك بإمرأة مسلمة حتى يؤمن.

والقرآن حتي يؤدى هذين الحكمين الشرعيين بالصورة التي هي أكثر تأكيدا وقبولا لدى المخاطب؛ جاء بعدة تعقيبات تؤكد هذين الحكمين في وسط الآية ، وفي خاتمتها .

فمثلاً: الحكم الأول «وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّ» عقب عليه بقوله : « وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ » ، فهذا التعقيب جاء بعد إكتمال المعنى في النهي عن زواج المشركة معللا عدم زواج المشركة معنويا ، وغائيا ، وحاثا على الإهتمام بزواج المسلمة، ولوكانت أمة لا تملك حريتها .

وأما في الحكم الثاني: «وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْ» فقد عقب عليه أيضا بقوله : «وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ » . فهذا فيه نفس الدلالات السابقة في التعقيب على الحكم الأول .

وأما موقع التعقيبين فنرى أنهما في وسط الاية ، وليس في خاتمتها – كما هو مشهور لدى الدارسين في التعقيبات القرآنية بأن التعقيب يقع في أواخر الاي فقط. (1)

ثم ختم الآية بعد الحكمين والتعقيب عليهما – بتعقيبين ختاميين : أحدهما معلل لسبب النهي في الحكمين وذلك قوله تعالى : « أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ» ، فهذا التعليل معناه : أن زواج المشركة ، أو زاج المرأة المسلمة بالرجل المشرك سبب أساسي في الدعوة إلى النار ، وارتكاب ما يؤدي إلى دخولها ؛ فإنه قد تغر المرأة المشركة زوجها وتدعوه إلى دينها، أو تكون سببا قويا لإدخال أولاده إلى دين الشرك والوثنية . وكذلك النهي عن زواج المسلمة بالكافر ؛ لأن المرأة ضعيفة يغلب عليها سلطان الزوج ، مما يؤدي إلى التأثير في عقيدتها وسلوكها؛ فلذلك نهى المرأة المسلمة عن عن زواج المشرك. ولذلك أيضا أباح زواج المسلم باليهودية والنصرانية، ولكونهما أهل كتاب في الأصل، بعكس المشركة والوثنية . والله أعلم .

وأما التعقيب الختامي الثاني فهو قوله : «وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ» . وهذا هو التعقيب النهائي الختامي للآية وهو متضمن تأكيد الآية كلها : أي أن كل ما يبينه الله تعالى من الأوامر والنواهي ، فإنه من باب التذكير والإتعاظ ، وتقوية الإيمان الذي يوصل إلى مرضات الله ، وما يريده شرعا لا قدرا .

فهذا ما قصدناه من التعقيبات القرآنية على الأحكام الشرعية التي تشمل الآية كلها ، وليست

(1) كما مشى عليه : أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن ،/ 91.

مختصة بخاتمتها كماهو مشهور لدى العلماء القدامى والمعاصرين بنظام «الفاصلة القرآنية – خاتمة الآية القرآنية» .

وأما عن سبب إختيارنا لهذا المنهج ومافيه من فائدة ، فهذا ما نبينه في الفقرة التالية ، ولكن بعد تعريفنا للفاصلة القرآنية .

ثالثا : تعريف الفاصلة القرآنية .

أ/ الفاصلة لغة :

وهي مأخوذة من مادة «فصل» وتعني : بَوْنُ ما بين الشيئين ، أو الحاجز بين الشيئين ، وفصل شيء من شيء ، كفصل عضو من الجسد . ومنه التفصيل، أي التبيين ، ومنه قوله تعالى : ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: 1 . وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ الإسراء: 12 . ولذلك أصل تسمية الفاصلة مأخوذة من هذه النصوص القرآنية ؛ لأنها تفصل بين الآي وتميز بينها .[1]

ب/ الفاصلة إصطلاحا :

لقد عرفها العلماء بتعريفات مختلفة من اتجاهات عدة ، ولعل من أشمل هذه التعريفات هو تعريف الإمام الباقلاني حيث يقول: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعانى».[2]

فكلام الإمام الباقلاني يشير إلى أن الفاصلة تكون في أواخر الآي لقوله « متشاكلة المقاطع » ، وذلك لا يكون إلا في أواخر الآي ، وأما حكمة ورود الفاصلة في الآية فهو فسره بقوله « يقع بها إفهام المعاني » . فدور الفاصلة إذا تفهيم معنى الآية إما بتكميله، أو زيادة الإيضاح ، أو تقريره وتأكيده كم سنبينه لاحقاً.

هذا وقد اختلف العلماء على موقع الفاصلة القرآنية ، هل هو آخر الآية ، أم هو نهاية الجملة المنفصلة عن غيرها ، سواء كانت في بداية الآية ، أم وسطها ، أم آخرها ؟ .

فالإمام أبو عمرو الداني ، وقبله الإمام سيبويه يريان أنه في آخر كل جملة مفيدة ، وليس بالضرورة أن تكون رأس آية ، بل الحرف الأخير لكل جملة مفيدة ، وذلك يشبه حرف الروي في الشعر .

فلذلك يفرق الداني بين رءوس الآي والفواصل، حيث ينقل عنه الزركشي : «أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس آي ، وكذلك الفواصل يكن رأس آي وغيرها. وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية . فالفاصلة تعم النوعين ، وتجمع الضربين ؛ ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي «يوم يأت » و «ما كنا نبغ» - وهما غير رأس آي بإجماع - مع « إذا يسر » وهو رأس آية باتفاق » .[3]

فهذا هو رأي الداني ، وقبله إمام النحو سيبويه. ولكن جمهور العلماء على خلاف ذلك ولا يسمون الفاصلة إلا ماكان على رأس آي ؛ لأنه بها يكتمل المعنى غالبا ، ويختم بها معنى الآية كذلك . فهذه هي الفاصلة القرآنية .

أما كلام سيبويه والداني فهما يقصدان ما يشمل الفواصل اللغوية التي تعني : أواخر الجمل وهي بمثابة القوافي في الشعر .

بين الفواصل و التعقيبات القرآنية ؟

بعد تحديدنا لمفهوم كل من «التعقيب القرآني » ، و«الفاصلة القرآنية » ، يأتي سؤال مهم مفاده : أيهما أولى بالأخذ؟ ، ولا سيما على ضوء المفهوم الذي حددناه لمفهوم التعقيب القرآني ، وعلى ضوء حدود ومنهج بحثنا ؟.

(1) أنظر : لسان العرب ، مادة « فصل » ، وانظر سبب التسمية ، الزركشي ، البرهان ،1/ 53.

(2) إعجاز القرآن ، / 270.

(3) المصدر نفسه ، 1/ 53 .

جوابا على هذا التساؤل المهم : أرى من الأهمية بمكان - أخذ مصطلح « التعقيب القرآني » ، بدل « الفاصلة القرآنية » ؛ لما له من دلالات واسعة تشمل أضرب الخواتيم القرآنية في أي موقع من الآية القرآنية ، بعكس الفاصلة القرآنية التي لا يمكن أن تصدق إلا على خواتم الآي .

مصطلح « التعقيب القرآني لدى الدارسين

لقد استخدم هذا المصطلح علماء متقدمون في علم المناسبات القرآنية ، ومنهم : إبن الزبير الغرناطي ، والسجلماسي صاحب كتاب « المنزع البديع » .

يقول ابن الزبير الغرناطي وهو يتكلم عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ البقرة: 234، ثم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة: 240. قال: « إن تعقيب الآية الأولى بقوله « وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » مناسب لما قبله من تأمينهن على أنفسهن فيما يلزمهن في مدة العدة المذكورة من إحداد وما يتعلق به ، وفيما يفعلن بعده، فإن أضمرن أو كتمن شيئا لا يجوز – فعلم الله سبحانه محيط بذلك ، وهو الخبير به ....».[1] فهذا استعمال من ابن الزبير رحمه الله لمصطلح التعقيب بدل « الفاصلة» .

هذا وقدسبقني إلى تفضيل مصطلح التعقيب عن مصطلح «الفاصلة» باحث معاصر وهو الدكتور : أحمد أبوزيد في كتابه التناسب البياني في القرآن ، ولكن هناك فروق مهمة وجذرية بين إختاري واختياره .

الفروق الأساسية بين الإختيارين

وتتمثل هذه الفروق الجوهرية في الآتى :

أ/ أن الدكتور أبو زيد يساوي بين مصطلحي التعقيب والفاصلة في التطبيق العملي، فالتعقيب هو نفس الفاصلة لديه على مفهوم الجمهور للفاصلة القرآنية وهي كونها الخاتمة التي تكون في آواخر الآي. وقد إختاره لكونه أراد تحديد اسم محدد للتعقيب القرآني بمختلف أنواع المناسبات التي تشعبت أسماؤها خصوصا عند علماء البديع القرآني، وفن المناسبات القرآنية .[2]

ب/ وأما مفهومي لمصطلح «التعقيب القرآني» في هذا البحث فهو أو سع فهما وتطبيقا من «الفاصلة القرآنية» ، فهو شامل لكل تعقيب يقع في الآية القرآنية في أي جزء من الآية شريطة أن يكون واقعا بعد معنى مكتمل من حيث الإعراب والمعنى ، ويكون غالبا شبه مستقل عن ما يعقب عليه ، ولا يوجد ذلك التعقيب إلا في الآيات الطوال في المكي والمدني من القرآن. وقد رأينا أن الفاصلة لا تكون إلا في نهاية الآية ، بينما التعقيب القرآني يكون غير ذلك .

فهذا إذا هو الفرق الجوهري بين ما ذهب إليه: الدكتور أبوزيد ، وما اخترته من مفهوم مصطلح التعقيب القرآني .

(1) ملاك التأويل ،1/ 274.

(2) ينظر للمزيد : التناسب البياني في القرآن ، / 97.

المبحث الثاني
أنواع التعقيبات القرآنية

أنواع التعقيبات القرآنية

حسب موقع التعقيب من نسق الآية القرآنية سنقسمه إلى قسمين أساسيين :-

أولاً : التعقيبات العامة

وسميناها تعقيبات عامة لأنها تعم أجزاء الآية القرآنية فتقع في أي جزء منها سواء كان في الوسط أو الخاتمة أو غير ذلك. ولنمثل لكل من هذه التعقيبات المختلفة :

فالمثال الأول للتعقيب العام في وسط الآية ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ البقرة: 282. فهذا المقطع من آية المداينة تضمن حكماً شرعياً وهو: عدد الشهود الذين يشهدون على الأمور المالية مثل عقد المداينة، وذلك محدود بشهادة رجلين ، او رجل وامرأتين من خيار الناس وعدولهم . هذا هو الحكم بمجمله، ولكن بعد إكتمال معنى الحكم الشرعي في المقطع السابق، ورد بعده تعقيب يوضحه من باب التعليل لإختيار المرأتين في مقام الرجل الواحد؛ وذلك في قوله سبحانه: «أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ». فهذا التعقيب مؤكد لمفهوم هذا الإختيار، وأنه لم يأت تفرقة عنصرية فيما بين الرجل والمرأة – كما يقول خصوم الإسلام وأعداؤه –، وإنما تقريرا لحقيقة علمية هي : قلة الضبط عند النساء، وأن الرجال يفوقون بذلك كثيرا عن النساء، وذلك ما كشفه العلم الطبي الحديث من : أن الذاكرة تضعف لدى النساء أثناء الكلام والنقاش، بعكس الرجال . والله أعلم .

فهذا التعليل أضفى على النص القرآن بكثير من التفهم والتعقل لمراميه ومقاصده لدى المخاطب والمكلف ؛ مما يؤدي إلى المبادرة إلى تنفيذه في أرض الواقع .

وكما ترى أيضا : هذا التعقيب لم يقع في ختام الآية القرآنية مثل الفاصلة. وهذا ما نسميه التعقيب على مقاطع الآية القرآنية ، ويشمل كل تعقيب وقع قبل ختام الآية القرآنية .

وأما المثال الثاني فهو للتعقيب العام الواقع في ختام الآي القرآنية ، ولنأت به أيضا من نفس آية المداينة ، ويمثل ذلك قوله تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: 282. فهذا التعقيب الختامي للآية كلها وهو مكون من ثلاث جمل أو مقاطع . ونفهم منه أن التعقيب الختامي قد يكون تعقيباً متعدداً أي أكثر من تعقيب واحد ، كما يكون مزدوجاً أي يتكون من تعقيب عام وهو هنا: «وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ» ، ومن تعقيب خاص ، أي التعقيب بالأسماء والصفات الإلهيه «وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ». وهذا التعقيب الخاص هو القسم الثاني من التعقيبات وإليك الحديث عنه :

ثانيا : التعقيبات (الخاصة)

نسميها بالتعقيبات الخاصة نظرا لموقعها من الآية القرآنية وهو : آخر الآية وختامها.

وتتكون من قسمين أساسيين هما :

أ/ **التعقيب بالأسماء والصفات:** والتعقيب بالأسماء والصفات من أهم التعقيبات القرآنية نظراً لما تتضمنه أسماء الله وصفاته من الجلال والجمال ، ولما تشمل عليه من معان وأغراض متنوعة من وعد ووعيد ، أو ترغيب وترهيب ، أو تعليم وإرشاد، وكل ذلك لغرض التأكيد لمعنى الآية ومضمونها .

يأتي بها القرآن كما ذكرنا في ختام الآيات لتضفي على الآية جمالاً وتوكيداً معنوياً وتعريفاً بمنزل الآية الآمر والناهي من خلال نص الآية الكريم ، وكأن

التعقيب بالأسماء والصفات توقيع لمنشئ هذا النص المقدس المتكلم به وهو رب العزة ﷻ .

وعلى العموم فإن صفات الله ﷻ ضربان : صفات نفي ، وصفات إثبات ، والإثبات أيضا ضربان : صفات ذاتية ، وصفات فعلية.[1] فلننظر إلى كل قسم وما فيه من معان وأغراض تعود بالتأكيد على معاني الآي القرآنية .

1/ صفات النفي: ويسميها بعضهم «الصفات السلبية». والمقصود بذلك الصفات التي للتنزيه عن النقائص وتتضمن نفي ضدها عن الله ﷻ كصفة [القدوس، والسلام ، والغني] وغير ذلك .

فهذا القسم من الصفات في وقوعه ختاما للآي القرآنية يدل على معان عامة :-

أ/ التمدح والثناء لله ﷻ حيث نفى عن نفسه هذه النقائص بهذه الصفات الجليلة

ب/ التعليم لعباده بمعاني هذه الصفات ، وإعلام العباد بذلك ليعاملوا الرب ﷻ بمدلولها ولا يخالفوه .

ج/ الترغيب في الإعظام لله ﷻ عبر هذه الصفات – صفات النفي – ، وذلك مقصد مهم من مقاصد القرآن شرع لأجله العبادات والأحكام الشرعية عموما .

فهذه الصفات عموما تؤدي هذه الأغراض ، وتكمل هذا الدور. ولنأت الآن بأمثلة تطبيقية لهذه الأغراض العامة من التعقيبات القرآنية :

وعلى سبيل المثال قد ورد وصف الله بصفة الغنى كثيرا في ختام الآيات متضمنا هذه المعاني السابقة كلها ، ففيه التمدح من الله ﷻ والثناء عليه سبحانه وتعالى ، كما أنه سبحانه وتعالى يُعلِّم العباد من خلال هذا الوصف العظيم غناه عنهم وعن أعمالهم ، وأن جزاء الأعمال وثوابها عائد عليهم دونه ، كقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ آل عمران: 97 . ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ لقمان: 12 .

ومن النكات والأسرار اللطيفة في وصف الله بصفة « الغنى»: أنه قد وجد بالإستقراء من أسلوب القرآن بأن الوصف بالغنى لايأتي إلا بعد محرم شرعي، كما ذكره الإمام العز بن عبد السلام ، حيث قال : « كل فعل رتب وصف الله عليه بالغنى فهو منهي عنه بالإستقراء : ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ لقمان: 12 ، ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ الزمر: 7 ، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ النساء: 131، ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ العنكبوت: 6. فكل الأعمال التي جاء بعدها وصف الله بصفة الغنى فهي: إما نهي عن الكفر الأكبر ، وإما نهي عن الأعمال المؤدية إلى الكفر كالرياء والسمعة بالأعمال كقوله في الآية ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ العنكبوت: 6، أو الأعمال التي صاحبها أفعال أخرى محرمة ومخالفة لمقصد الشارع كالصدقة المصحوبة بالأذى والمن ، كما في قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ البقرة: 263.

2/ صفات الإثبات: وهذه الأسماء أيضا قسمان، ما يتضمن صفات ذاتية ، وما يتضمن صفات فعلية ، فالأول :

أ/ ما يتضمن الصفات الذاتية

وهي التي تعود إلى ذات الباري ﷻ كصفة الحياة

(1) ينظر في هذا : العز بن عبد السلام ، الإمام في بيان أدلة الأحكام/ 45.

والعلم والقدرة والسمع والبصر وغيرذلك .

وهذه الصفات الذاتية كغيرها من الصفات الإلهية التي تأتي للتعقيب لها أغرض عامة وخاصة، ومنها:

1. التعليم: فهي تأي لتعليم العباد بمعاني هذه الصفات الذاتية ليعرفوا بها الرب ﷻ ويعبدوه بها ربا موصوفا بهذه الصفات .
2. الترغيب: وذلك لترغيب العبد بمضمون هذه الصفات فمثلا : الترغيب بصفة العلم ، حيث يعلم العبد : أن أن الله عليم بحاله في السراء والضراء، ومدى حاجته إلى العون ، وأن الله عليم مطلع بأعدائه وما يدبرون له في حالة خوفه ، وغيرذلك ، فهكذا نرى أن الترغيب من معاني هذه الصفات ، فلا يسأم العبد من عبادة رب موصوف بذلك .

والترغيب يتضمن الترغيب في تعظيم الله وإجلاله، وكذلك الترغيب في طاعته وعبادته.

3. التمدح والثناء لله ﷻ: فالله يمدح نفسه مثلا بالقدرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا﴾ الأحزاب: 27، وكذلك التمدح بوصف العلم : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ النساء: 32 .
4. الترهيب : وذلك ترهيباً من المعصية ، فهذه الصفات تتضمن التخويف من المعاصي، ومثاله: صفة البصر ، حيث يقول : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ البقرة: 96، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ البقرة: 233. وكذلك الترهيب بصفة العلم كما في هذه الآيات : ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة: 95، ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ آل عمران: 63.

ب/ الصفات الفعلية :

وهي صفات الأفعال كالخالق والرزاق، والوهاب والفتاح والنافع والقهار والجبار ، وغير ذلك من صفات الأفعال ، وتعقب بهذه الصفات للدلالة على :

1 – التمدح والثناء لله ﷻ . ونلاحظ أن هذا الغرض – التمدح – يشترك فيها جميع الصفات بمختلق أقسامها .

2 – التمنن . فالله يمتن على عباده بما يمدهم عليه من المنافع كالتمنن بالرزاق : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ آل عمران: 37. وكالتمنن بصفة الفتاح ، حيث يفتح الله لعباده أبواب العطايا والمنح والأفضال: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ سبأ: 26، يفتح قلوب عباده إلى معرفة الحقائق والمعارف .

3 – الترغيب ، حيث يرغب بمضمون ومعاني هذه الصفات كالترغيب بصفة الرزاق: ترغيباً بطلب الرزق من الرزاق ، وطلب النفع من النافع، وطلب دفع الضر من الضار القادر وحده على دفعه سبحانه وتعالى .

4 – التعليم لأجل التعظيم: أي لتعظيم الله ﷻ، فهذه الصفات الفعلية هي صفات تعظيم وإظهار لمهابة الله ﷻ .

فهذه هي الدلالات الإجمالية للأسماء والصفات عموما من حيث دلالتها على الأحكام الشرعية

وتأكيدها .

فالأسماء والصفات من الوسائل المقاصدية للقرآن لدلالة الأحكام الشرعية وتأكيدها .

ب/ التعقيب بالصفات الإنسانية

ونعني بذلك التعقيب بصفات المخاطبين الذين يخاطبهم القرآن من خلال أوامره ونواهيه، سواء كانت صفات واقعية مطبقة في سلوك المخاطب ، إيجابية أو سلبية ، أو صفات يريد القرآن تطبيقها فعلا على الواقع ، من باب الترغيب، أو صفات يحذر القرآن من وقوعها في سلوك المكلف ، ويحذر منها عن طريق غير مباشر بأسلوب الترهيب، وقد يكون مثالها كالآتي :

1. صفات المدح المطبقة في سلوك المخاطب، كما في قوله تعالى : ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ الحجرات: 7 ، ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر).

2. صفات ذم موجودة فعلا ، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ النحل: 108 . ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ البقرة: 27 ، ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة: 87 ، ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة: 190 ، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ البقرة: 205

3. صفات مدح يراد تطبيقها وتجسيدها في سلوك المخاطبين ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرعد: 4، ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: 11، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: 63 ، ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة: 195 .

4. صفات ذم يراد الترهيب منها ، وعدم وقوعها من المكلف ، ومن ذلك هذه التعقيبات التالية: قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ البقرة: 205، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ آل عمران: 57 [1].

المبحث الثالث
خصائص التعقيبات القرآنية

المقصود بالخصائص هنا : تلك المعالم والمظاهر التي تميز التعقيبات القرآنية بقسميها – التعقيبات العامة – والخاصة « الأسماء والصفات ، والصفات الإنسانية» ، من حيثيات مختلفة ومن جهات عدة: من حيث الموقع ، ومن حيث المناسبة بين الآية والتعقيب القرآني ، ومن حيث دور التعقيب في معنى الآية إجمالا ، وحجم التعقيب من حيث الطول والتعدد والتنوع، وغير ذلك من الحيثيات المتعلقة بالتعقيب القرآني.

(1) ستأتي تفاصيل هذه الصفات الإنسانية في التعقيبات القرآنية في مبحث أغرض التعقيبات القرآنية ، صـ 24

هـذا وقـد تقدمـت إشـارات عابـرة لبعـض هـذه الخصائـص في مـا سـبق مـن المباحـث، ولكـن نذكـر هنا مـن يـاب التفصيـل والتحليـل ، ولنبـدأ بالخصيصـة الأولى :-

الخصيصة الأولى : دور التعقيب في نظم الآية

للتعقيـب القـرآني - لا سـيما - التعقيبـات الختاميـة التـي هـي بمثابـة الفواصـل القرآنيـة - دوران أساسـيان:

أ/ الدور الجمالي

مـن حيـث الإنسـجام الصـوتي لفواصـل الآيـات القرآنيـة ، وتطريـب الصـوت في نهاياتهـا ، واسـتراحة النفـوس عنـد التـلاوة حيـث الوقـوف عـلى هـذه الفواصـل كسـنة متبعـة ، ومـن حيـث أنهـا تـؤذن بختـام الآيـة وتفصلهـا عـن مـا سـبقها مـن الآيـات . فهـذا الجمال الصـوتي الـذي يظهـر لـكل سـامع للقـرآن عنـد ترتيلـه سـواء كان مؤمنـا أم غـير ذلـك ، وليـس بالـضرورة أن يفهـم معـاني القـرآن .

وهـذا الـدور الجمالي للتعقيـب القـرآني رغـم أهميتـه في إعجـاز القـرآن الكريـم إلا أنـه ليـس محـل دراسـتنا هنـا فلنتجـاوز إلى الـدور الثـاني .

ب/ الدور الوظيفي للتعقيب القرآني

التعقيبـات القرآنيـة هـي خادمـة لمعـاني الآيـات؛ وبالتـالي فهـي واقعـة موقعهـا مـن نظـم الآيـة بحيـث لا يسـد غيرهـا مسـدها ، ولشـدة تعلقهـا بمعنـى الآيـة فـإن نظـم الآيـة الـذي يسـبقها يسـتدعيها ؛ فنجـد السـامع يتوقعهـا ، ويـكاد يحـدد نوعهـا متـى مـا أدرك سـامعها معنـى مـا سـبقها مـن النظـم .

وقـد ذكـر العلـماء في ذلـك أخبـاراً وطرائـف لمـن سـمعوا نظـم الآيـة وتدبـروا ؛ فتنبئـوا بخاتمتهـا قبـل سـماعها ، كـما أخرجـه إبـن أبي حاتـم مـن طريـق الشـعبي عـن زيـد بـن ثابـت قـال : أمـلى رسـول الله ﷺ هـذه الآيـة: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ المؤمنـون: 12 – 14، إلى قولـه «ثـم أنشـأنه خلقـا آخـر» قـال معـاذ بـن جبـل «فتبـارك الله أحسـن الخالقـين» ، فضحـك رسـول الله ﷺ ، فقـال معـاذ مـمَ ضحكـت يـا رسـول الله ؟ قـال بهـا ختمـت» . [1]

وبهـذا نـدرك أن التعقيـب يـبرز وجهـا جديـدا في معنـى الآيـة فتـزداد وضوحـا وبيانـا؛ لأن التعقيـب أو الفاصلـة تلخـص معنـى الآيـة تلخيصـا يـبرز بـه المعنـى المـراد منهـا ، وبعبـارة أخـرى فالتعقيـب يمثـل إشـارة مضيئـة إلى مركـز ثقـل في الآيـة ، وهـذا يظهـر جليـا في فواصـل الآيـات الطويلـة ، حيث تـأتي الفاصلة مسـتقلة تـؤدي معنـى تامـا مسـتقلا .

ولـو عمقنـا النظـر في ذلـك الـدور الـذي يقـوم بـه التعقيـب عـلى الآيـة نجـده يتلخـص في ثلاثـة محـاور أساسـية:-

المحور الأول : التكميل لمعنى الآية؛

حيـث يكمـل المعنـى الـذي سـبقه رغـم إفادتـه حكـماً جديـداً، كقولـه تعـالى تعقيبـا عـلى حكـم الـزاني والزانيـة: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النـور:2. فهـذا التعقيـب مـع إفادتـه حكـما جديـدا إلا أنـه مكمـل لمعنـى قولـه تعـالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ النـور: 2. لأن التشـهير بالـزاني وعقوبتـه أمـام منظـر الجماهـير مـن المؤمنـين عقوبـة أخـرى معنويـة تضـاف إلى العقوبـة الماديـة وهـي جلـده مائـة جلـدة ، ولا شـك أن ذلـك تأكيـد للنهـي السـابق عـن عـدم الرأفـة والشـفقة بالـزاني .

(1) السيوطي ، الإتقان ، 2/ 101 ، ولم أعثر على هذا الأثر في غير هذا المصدر ، وخاصة كتب الحديث والأثر.

المحور الثاني : الإيضاح لمعنى الآية :

ويأتي في ذلك التعليل وزيادة الإيضاح ، وغيرهما مما يزيد بيانا لمعنى الآية من التعقيب : كالإستدراك، والإحتراز ، والإستثناء .

ومن أمثلة التعقيب البياني التعليلي ، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: 183 .

ومن الإستثناء التعقيبي قوله تعالى : ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ النساء: 95، فجملة « غير أولي الضرر » : جملة تعقيبية على الحكم الوارد قبلها.

المحور الثالث : التأكيد لمعنى الآية .

ويندرج تحت هذا المحور أغراض عدة ، ومنها: التعقيب بالوعد أو الوعيد ، والترغيب والترهيب، والوعظ والتذكير، أو المدح والذم ، وغير ذلك مما يعتبر مؤكدا لمعنى الآية .

وأكثر التعقيبات راجعة إلى محور التأكيد لمعنى الآية . وسوف تظهر أمثلة هذه المحاور باتفصيل في مبحث الأغراض العامة للتعقيبات القرآنية .

وبهذه العلاقة التي عقدناها بين التعقيب القرآني ونظم الآية من خلال هذه المحاور الثلاثة يتبين بجلاء : قوة المناسبة بين كل من الآية القرآنية، والتعقيب الذي يأتي فيها، ولا سيما التعقيب الختامي مع نظم الآية ككل .

وهذه العلاقة او المناسبة سماها العلماء من أهل البلاغة ، وفن علوم القرآن بتسميات عدة وتفريعات مختلفة لا حاجة لنا في إيرادها هنا.[1]

الخصيصة الثانية : تنوع التعقيب تبعا للمعاني التي يعقب عليها

يأتي التعقيب القرآني متناسباً ومتناسقاً مع نظم الآية كما سبقت الإشارة بذلك، ويكون التعقيب من الدقة بمكان بحيث لايناسب مقامه أي تعقيب آخر، ولكن قد لا تظهر هذه المناسبة أحيانا في بادئ الرأي لدقتها وخفتها ، ومن أمثلة هذا النوع من التعقيب قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ المائدة: 118، كان المتبادر إلى الأذهان أن يكون التعقيب الختامي مثلاً : فإنك أنت الغفور الرحيم » ، ولكن التعقيب جاء بوصف « العزيز الحكيم » ؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العقاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه ، عزيز لا يغلب ، ومع ذلك فهو سبحانه الحكيم الذي يضع كل شيء في محله ، ومن ذلك أن يغفر لمن يستحق العقاب ، فلفظ الحكيم فيه إحتراس حسن يدل على أن الحكمة التامة هي ما فعله سبحانه من المغفرة لمن يستحق العقاب .

وبهذا نجد تماما : أن التعقيب يكون تبعا لما يعقب عليه ، ويتنوع كذلك تبعا أيضا للمعاني والسياق القرآني ، ويظهر هذا التنوع والتناسق بين السياق والتعقيب جليا في التعقيب بالأسماء والصفات الإلهية ﷻ التي تكون تعقيبا للأحكام والحدود الشرعية ، وكأنها تمثل تعريفا لمصدر تلك الأحكام ومشرعها .

ولنأت بأمثلة تصدق وتوضح ما قررناه ، ويكون ذلك على مستويين :

الأول : على مستوى الصفة الواحدة :

ومن ذلك : صفة « العلم » تأتي على كثير من الآيات ، فهذه الصفة الواحدة تختلف مبناها ومعناها من آية إلى أخرى ، كما يلي :

(1) أنظر على سبيل المثال : الزركشي ، البرهان ، 1/ 34 .

■ التعبير بالعلم المطلق: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: 231 .

■ التعبير بالخبرة في كل الأعمال : ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ البقرة: 234 .

■ التعبير بالإطلاع الشامل والتام بكل أعمال العباد وأفعالهم: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة: 110 ، ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هود: 112.

■ التعبير بالعلم على الأعمال مطلقا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ المؤمنون: 51 .

■ التعبير بأن الله عليم بحال العمل وما فيه من خير أو شر ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ البقرة: 197 .

فهذه الأمثلة نموذج على اختلاف وتنوع الخواتيم القرآنية للآيات بالصفات الإلهية حتى على مستوى الصفة الواحدة كصفة العلم الإلهي كما مثلنا ، يختلف التعبير ، أي المبنى والمعنى من آية إلى أخرى.

الثاني : مستوى الإقتران بين الصفات الإلهية

يتنوع التعقيب الإقتراني بالصفات التعقيبية ، حيث أن الإقتران هو الغالب في التعقيب بالصفات والأسماء مقارنة بالإنفراد ، وعلى سبيل المثال : يقرن إسم الله «العزيز» بأسماء أخرى بـ «الحكيم» ، «كالعزيز الحكيم» وذلك هو الأكثر مع إسم العزيز، كما يقرن بـ «الرحيم» كالعزيز الرحيم».

وهكذا نجد أيضا : أن إقتران الأسماء والصفات يختلف لاختلاف معنى الآية التي يعقب عليها من وعد ووعيد وتشريع وقصة ، أو غير ذلك .

الخصيصة الثالثة : تنوع التعقيب تبعا لسياق الآية وموضوعها .

يتنوع التعقيب بالأسماء والصفات حسب موضوع الآية ومجالها ، سواء كان التعقيب بصفة أواسم مفرد ، أو مقرون ؛ ولذلك عرف من اسلوب القرآن مثلا : أن التعقيب بصفتي « العزيز الحكيم » يأتي في مقام التذكير بمعاني الغلبة والإقتدار، والقهر والإحكام ، كقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ الفتح: 7.

والتعقيب بصفتي «الغفور الرحيم» ، أو «الغفور الحليم» يطرد في مقامات العفو والتخفيف ، وتقوية الرجاء في رحمة الله ، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المائدة: 74، جاء بعد قوله تعالى : ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المائدة: 73، فاتحا باب التوبة والغفران على هؤلاء الكفار ليتوبوا إلى ربهم، ويوحدوا الله سبحانه وتعالى.

وهذا الإختلاف على مستوى التعقيب في نسق الآية كلها ومجمل معناها وسياقها.

الخصيصة الرابعة : تعدد التعقيبات وتناسبها

أشرنا في كلامنا السابق عن التعقيب بالأسماء والصفات : أن الغالب فيها أن تكون مقرونة أي صفتين متتاليتين كـ « الغفور الرحيم » ، ويقل انفرادها ؛ فهذا بين في تناسب كل صفة مع

أختها من حيث المضمون ، والدلالة العامة رغم إختصاص كل منهما بدلالات خاصة .

وهكذا التعقيبات العامة هي نفسها قد تكون مقرونة ، كما تكون مفردة ، سواء في التعقيبات الداخلية ، أو الختامية ولكن ذلك نادر مقارنة بالتعقيبات غير المقترنة فهي الغالبة في التعقيبات العامة ، عكس التعقيب بالأسماء والصفات .

والعلاقة بين هذه التعقيبات المقرونة تختلف من مقام إلى آخر، ولكن الغالب في ذلك هو غرض التأكيد . فانظر على سبيل المثال تعقيبا داخليا في وسط آية المداينة بعد الأمر بكتابة عقد المداينة جله ودقه : ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ ، عقب ذلك بثلاث تعقيبات متتالية هي بمثابة تعليل ذلك الأمر ، وهي : ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ البقرة: 282. ؛ والغرض من التعقيبات الثلاث هو التأكيد ؛ لأن التعليل للأحكام يفيد تأكيدها .

وأما التعقيب المقرون الختامي فمن أمثلته ما جاء بعد نهاية آية المواريث : ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء: 11. فهذه ثلاث تعقيبات متتالية مؤكدة لماجاء في الآية من أحكام المواريث، حيث ان الله وحده هو العالم بمصالح عباده ، وليست المصلحة بكون الوارث إبنا أو أبا، فيعطى المزيد من المال ، ثم أكد ذلك بأن هذه المقادير خط أحمر لا ينبغي تجاوزه ؛ حيث أنها فريضة مقدرة من الله ﷻ ، ثم التهديد بصفة العلم تقتضي بأن الله مطلع إطلاعا كاملا بمن يفرط في هذه المقادير الشرعية ، ثم الختام بصفة الحكمة المقرونة بالعلم، وذلك أن الله لما حكم هذا فلأجل الحكمة التي يعلمها : ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة: 50.

ونهم من هذا التعقيب المتعدد : بأن التعقيب الختامي قد يكون مكونا من عدة تعقيبات عامة ، وقد تكون متنوعة فيما بين تعقيب عام ، وتعقيب بالأسماء والصفات .

الخصيصة الخامسة : تنوع التعقيبات حسب طول الآية وقصرها

تتنوع التعقيبات القرآنية من طول إلى قصر حسب طول الآية وقصرها ، وذلك تناسبا مع فقرات الآية ومقاطعها . فالتعقيبات – أو خواتيم الآي – في الآيات ذات الطول سواء كانت في السور الطوال أو القصار أو المتوسطة الطول – تأخذ غالبا سمة الإستقلال ، حيث تأتي بعد تمام المعنى– أو المعاني الأساسية في الآية ؛ فتكون بمثابة اللبنة أو التعليق الختامي على الآية ؛ وتؤدي حينئذ وظائف متعددة ، أهمها كما ذكرنا : التكميل ، والإيضاح ، والتأكيد .

وبهذا يكون التعقيب غالبا جملة أو أكثر مستوفية الأركان ، ويغلب عليها أن تكون جملة إسمية .

أما في الآيات القصار في أي سورة مهما كان حجمها ، فتكون كلمة مكملة لمعنى الجملة التي قبلها التي هي معمول لها من حيث الإعراب ، وبالتالي غير مستقلة عن بقية الآية . فهي قد تكون جملة قصيرة : جملة فعلية أضمر فيها فاعلها مثل « قدّم وأخّر» ، «كورت» ، ويغلب ذلك في قصار السور: كالمفصل ، وما يشبهه ، وبناء عليه فإن التعقيب المستقل يكثر في السور الطوال كالبقرة وآل عمران والنساء ، إلخ .

ويكون التعقيب في هذه السور غالبا يميل إلى الطول ، بينما يقل بل يكاد ينعدم في الايات التي تكون قصيرة .

والسر في ذلك – والله أعلم – : أن الغالب في السور القصار أن سورها مكية النزول ، وللقرآن في مكة مجاله الخاص ، فالقرآن المكي كان يهدف إلى إصلاح الناس بإصلاح عقيدتهم ، ومن ثم سلوكهم، لذلك جاء بموضوعات تخدم هذا الغرض من التبشير والإنذار إلخ ؛ لذلك كانت آياته قصيرة العبارة حادة سريعة الإيقاع عنيفة الوقع – غالبا– ؛ فكانت الفاصلة القرآنية أكثر إنسجاما في المكي من حيث (السجع) – إن تسامحنا في هذه التسمية – ، والتجانس ، وأكثر ترنما وتطريبا من حيث الإيقاع الصوتي ، وذلك منسجم مع ما كان القرآن يطرحه ويعالجه في الفترة المكية من المواجهة والنزال في ساحة حرب مفتوحة مع مشركي مكة الذين كانوا بطرقهم يتهمون القرآن بالسحر والإختلاق ، فقد كان ذلك الإنسجام في الفواصل القرآنية ركنا أساسيا في عنصر التحدي الذ وجه إلى الكفار في الفترة المكية ثم ختم بآية مدنية في أول سورة مدنية وهي البقرة .

أما القرآن المدني فكان مجاله الواسع: التشريع ، وإرساء القواعد للمجتمع الإنساني ، ووضع الأسس اللازمة للمؤسسات التي ستقود هذا المجتمع إلى سعادة الدارين من حيث العبادات والمعاملات ، والأخلاق والفكر ، والسياسة ؛ لذلك اتجهت سوره وآياته إلى الطول والإستقصاء ، وبناء عليه جاءت التعقيبات والخواتيم منسجمة مع هذا النسق الذي يميل إلى الطول، ومن ثم التفصيل والبيان.[1]

الخصيصة السادسة: تأتي التعقيبات الختامية مفيدة لأحكام شرعية جديدة في نظم الآية .

ذلك أن التعقيبات القرآنية كجزء ختامي لنظم الاية ، قد يستعمل للدلالة على حكم شرعي جديد بمختلف الدلات اللغوية ، ولكنها لا تكون في الغالب دلالة نصية .

أ/ التمنن

ومن تلك الخواتيم المستقلة التي تفيد حكما جديدا هو التمنن المفيد للإباحة ، قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ النحل: 16، فقوله « وبالنجم » إلخ يفيد معنى جديدا ذلك أن النجوم تكون للإهتداء ومعرفة الجهات من قبل السائرين والمسافرين على الأرض والبحار، وذلك من باب الإمتنان على العقلاء .

ب/ التحريم

ومن أمثلته التعقيبات التي تفيد التحريم عند ما يأتي التعقيب بوصف الغنى لله ﷻ وذلك على ضوء القاعدة السابقة التي أصلناها[2] « كل عمل وصف الله بصفة» الغنى « فهو للتحريم » .

كقوله تعالى معقبا للأمر بالحج لكل من استطاع إليه سبيلا : ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ آل عمران: 97، فهذا التعقيب يتضمن حرمة التخلف عن الحج لمن استطاع إليه سبيلا بعد الأمر الصريح بذلك ، وذلك من عادة القرآن وأسلوبه في تأكيد الأمور الشرعية المهمة فيجمع الأمر بالشيء ويعقبه بالنهي عن تركه .

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ لقمان: 12، فدل على حرمة الكفران بنعمة الله ﷻ المأمور به صراحة بقوله : ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ لقمان: 12 .

فهذه الأمثلة الواضحة كافية للتدليل وإثبات أن التعقيبات الختامية قد تدل على أحكام شرعية جديدة مع تأكيدها لما سبق من نظم الآية .

(1) ينظر حول هذه الفكرة : المطعني ، عبد العظيم ، خصائص التعبير القرآني ، / 235. بتصرف ، وانظر أيضا : أبو زيد ، التناسب البياني / 99. بتصرف .

(2) أنظر : مبحث التعقيب بالصفات التي للنفي / .

المبحث الرابع
الأغراض العامة للتعقيبات القرآنية

تدور التعقيبات القرآنية كما أشرنا سابقا على محاور ثلاثة : تكميل معنى الآية ، وزيادة البيان والإيضاح ، والتوكيد والتقرير .

وكل المحاور الثلاثة خادمة في الأصل لغرض التأكيد لمعاني الآيات والأحكام الشرعية، وراجعة إليه .

والآن نفصل تلك المحاور الثلاثة وما يتفرع عنها من أغراض ومقاصد :-

ويكون على محورين :

المحور الأول :

1/ تكميل المعنى وتقويته

ويدخل تحت هذا المحور كل ما يعتبر تكميلا للمعنى الأصلي للآية وتقوية له ، وقد وجدت أن هناك عدة أساليب ذكرها علماء البديع القرآني ترجع إلى هذا المحور ، ومنها :-

أ/ الإيغال

وسمي به لأن المتكلم قد جاوز المعنى الذي هو آخذ فيه وبلغ إلى زيادة على الحد ، كالموغل في الأرض الفلانية إذا بلغ منتهاها ، فهذا المتكلم إذا تم المعنى الذي أراده ثم تعداه بزيادة فيه فقد أوغل .[1]

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ النمل: 80. فقد إكتمل المعنى المراد في الآية بقوله « وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ » ، ثم أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة التي هي موغلة في المعنى ومزيدة له ، فقال « إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ » . فهذه الحالة التي أشار إليها القرآن هي حالة خاصة إجتمع فيها الصمم ، وعدم سماع النداء أصلا، ثم أضيف إلى ذلك الحال : أن ولوا إلى أعقابهم مدبرين!، فكيف يمكن سماع الأصم مع كونه مدبرا ومواليا ظهره للشخص الذي يناديه !!، فما أروع وأعظم تعبير القرآن وبيانه .

ومن أمثلة ذلك ايضا قوله تعالى : ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ يس: 21، ثم زاد في الحث على الإتباع بصفة تضمنتها الفاصلة « وَهُم مُّهْتَدُونَ» . فالدعاة إلى الحق لا يسالون أجرا ومع ذلك هم مهتدون ؛ فاجتمع فيهم الهداية ، وعدم طلب أي منفعة مادية ، فكيف لا يستحقون أن يتبعهم أي عاقل لمصلحته .

ب/ الإحتراس

وهو أن يكون الكلام محتملا لشيء بعيد ؛ فيؤتى بما يدفع ذلك الإحتمال البعيد . ويقع هذا الأسلوب في التعقيبات القرآنية سواء في داخل الاية أو في ختامها . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ النمل: 12، فقوله « من غير سوء » إحتراز – أو إحتراس – عن إمكان أن يكون ذلك البياض من آفة أو علة مرضية كالبرص والبهق وغيرهما .

ومن أمثلة التعقيب الداخلي في هذا الأسلوب أيضا قوله تعالى في مدح أوليائه : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة: 54.

فلما كان وصفهم بالذلة على المؤمنين قد يحتمل الضعف الأصلي الخلقي لهم – بكسر الخاء – ، إحترس عن هذا الإحتمال ودفعه بقوله « أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ » ، فدل أن ذلتهم على المؤمنين ناشئ من تواضع واختيار منهم ، وليس ناشئا عن ضعف خِلُقي .

(1) الزركشي ، المصدر السابق ، 3/ 80.

وعكسه قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح: 29. فهنا إكتمل المعنى، وقد تكون الشدة على الكفار نابعة من غلظ الطبيعة والنفور الخلقي منهم، فاحترس عن ذلك بقوله تعالى « رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ».

ومن أمثلة أسلوب الإحتراس في التعقيبات القرآنية الختامية قوله تعالى حاكيا عن إهلاك قوم نوح : ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هود: 44. فالتعقيب بالاية بالدعاء على هؤلاء المهلكين قد تضمن وصفهم بالظلم ليعلم أنهم كانوا مستحقين للعقاب الذي حل بهم .

ويكثر هذا الأسلوب في القرآن تعقيبا للإخبار عمن حل بهم العقاب أو الهلاك ، فيعقب بأنهم كانوا أهلا لذلك ؛ وأن الله لا يظلم عباده ، ويكون غالبا بالتعبير على أن الله لا يعاقب أحدا بدون جرم سابق ، ولنتأمل في ذلك هذه الأمثلة الحية : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ العنكبوت: 40. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يونس: 44، ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ النساء: 160، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: 155، ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ۘ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ الأعراف: 163.

ولا نستطيع أن نستقصي هذا الأسلوب الذي يشبه الإعتذار عن ما حصل لهؤلاء العصاة ، حيث أن الله ﷻ يبين أن العصاة ميئوسون منهم ، ولا يستحقون رحمة الله الواسعة « ولا يهلك على الله إلا هالك » .

ومن أمثلة الإحتراس في التعقيب الختامي أيضا قول النملة مخاطبة لباقي النمل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النمل: 18. جاء ختام الآية متضمنا الإحتراس الذي جيء به لنفي تعمد قتل وتحطيم النمل الضعاف ، حيث لا يمكن ذلك من سليمان وجنوده إلا في حالة عدم الشعور بوجود النمل ، لأنهم مصلحون، وليسوا مفسدين في الأرض .

ج/ التذييل

وهو لغة : جعل الشيء ذيلا للآخر .

واصطلاحا : الإتيان بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقاً لدلالة منطوق الأول، أو مفهومه ، ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لايفهم ، ويكمل عند من فهمه .[1]

قال الله تعالى مخبرا عن ما حل بأهل «سبأ» : ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ﴾ سبأ: 17.

ثم ذيل ذلك المعنى بما يحقق منطوقه ويؤكده فقال: «وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ»، فافاد ذلك التعقيب معنى زائدا .

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى : ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ۖ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ فاطر: 14، فقوله في التعقيب : «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» تعقيب تذييل إشتمل على تأكيد صدق ما أخبر الله عنه

(1) الزركشي ، المصدر السابق ، 3/ 46 بتصرف .

فيما سبق . ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: 81، فقوله تعالى : « إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا » تذييل لمنطوق النص يؤكد معناه القاضي بأن الباطل في أصله وصفته فهو زهوق . وانظر لفظ « زهوقا » الدال على المبالغة وإسمية الجملة المفيدة للإستمرار ، وكل ذلك من أساليب التأكيد للمعاني والأحكام . ومثله قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ الأعراف: 133، فالوصف بالإجرام تذييل لاستكبارهم عن الحق والإيمان به .

ومنه في وصف فرعون وطغيانه وجبروته قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ القصص: 4، فقوله تعالى : « إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ » تذييل مؤكد ودليل واضح مصدق على تلك الجرائم البشعة التي ارتكبها ضد قومه .

المحور الثاني : زيادة البيان والإيضاح

هذا المحور الثاني من محاور التعقيب على الآيات القرآنية ، ويتضمن هذا المحور عدة محاور فرعية ، وهي :-

أ/ التعليل

يعلل القرآن الكريم أوامره وإرشاداته الموجهة إلى المكلفين لأهمية الأمر المعلول من جهتين :

أولا : العموم الذي تقتضيه العلة ؛ لأن العلة المنصوصة قاضية بعموم المعلول ؛ وذلك يقتضي عموم الحكم وشموله في كل ما وجدت فيه العلة. وهذا يقتضي بدوره تأكد الحكم الشرعي المعلول بتلك العلة المنصوصة وأهميته في خطاب الشرع .

ثانياً: أن نفوس العباد مجبولة بالإنبعاث والمبادرة إلى تنفيذ الأحكام المعللة ؛ لكونها مفهومة لدى المكلف من حيث الغرض الداعي إلى تشريعها ، وما فيها من مصالح عاجلة أو آجلة للمكلف؛ مما يؤدي بدوره إلى مبادرة المكلف إلى تطبيقها وتنفيذها.

وهذا ما تحرص عليه الشريعة من جعل احكامها نافذة مطبقة على الواقع ، لا أن تكون مجرد مواعظ وترانيم لا صلة لها بالواقع التنفيذي ؛ ولذلك لم يشرع كثير من الأحكام الشرعية الأساسية في الفترة المكية؛ حيث لم يكن هناك إمكانية لتنفيذها على أرض الواقع ، أو لم يكن لدى المكلفين قابلية التنفيذ ، فصان الله تعالى أوامره ونواهيه أن تكون مبتذلة لمجرد التلاوة والتبرك – كما هو حال المسلمين اليوم في كثير من تعاليم القرآن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأخرت هذه التكاليف في الفترة المكية إلى الفترة المدنية حيث التنفيذ ممكن ، والقابلية موفورة لدى المكلف ، وخذ على سبيل المثال أحكام الجهاد والصيام وتحريم الخمر ، وغير ذلك من الأحكام والفرائض التي شرعت بالمدينة .

طرق تعليل الأحكام

وأما طرق تعليل الأحكام فكثيرة ومتنوعة منها ماهو لفظي ، ومنها ما هو معنوي ، ولنكتف بذكر ما كان ذا صلة بالتعقيب القرآني :

أ/ بيان الغاية من التشريع

والمقصود بذلك بيان الحكمة والمقصد من تشريع الحكم ، أو إيجاد الشيء من الخلق ، ومن أمثلته : بيان الغاية من خلق السماوات والأرض ، حيث يقول رب العزة ﷻ : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ الطلاق: 12 . فهذا التعليل للتمدح بالقدرة المطلقة والعلم الشامل من الله ﷻ ، وكذلك تعليم هذه الصفات

الإلهية المستفيدة من إيجاد هذا الملكوت – مما يدل على قدرته المطلقة وعلمه الواسع الذي له دليل مرئي هو : خلق السماوات السبع ومثلها من الأرض .

ومثله بيان الغاية من خلق الشمس ، وجعل الشمس ضياء والقمر نورا ، وتقدير القمر بالمنازل في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ يونس: 5. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ الإسراء:12، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة: 189.

ومثله بيان الغاية من بعض الأحكام العملية، كقوله تعالى بعد بيان أحكام الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ المائدة: 6، ومثله أيضا ما جاء بعد الأمر بالصيام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: 183، فعلل حكمة الأمر بالصوم بأنه لتأصيل التقوى وغرسها في النفوس المؤمنة وتطهيرها بهذه العبادة العظيمة .

وكذلك قوله تعالى بعد رخصة الإفطار للمريض والمسافر ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ البقرة: 185 ، فهذه الآية الكريمة عقبت بأربع تعقيبات تعليلية للأحكام المختلفة التي تضمنها الآية من الأمربالصوم لكل من حضر هلال شهر رمضان مستوفيا شروط وجوب الصوم عليه ، ثم رخص المعذورين من المرضى والمسافرين « يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ- وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ -وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ- وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » ، فاقتضت هذه التعقيبات بيان المقصد من الأحكام السابقة ، وبذلك أكدت مفهوم هذه الأحكام .

ومثلها التعقيبات التي جاءت بعد الأمر بالجهاد والنفير ضد العدو، والأمربالمصابرة مع المشركين، كما قال تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ آل عمران: 140، فهذه الآية تعقيب تأكيدي للآية السابقة ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: 139 ، التي نهى الله ﷻ فيها عن الهوان والضعف أمام الكفار للأسباب التي تضمنتها الأية التعقيبية التي تفيد : بأن كل أذى يصيب المؤمنين في المعركة فإن مثله وأكبر منه يصيب كذلك الكفار، وإن هزمت يوما فقد انتصرت أياما ، ثم ليعلم الله الصادقين والكاذبين في دعواهم الإيمان، وليكرم الله المؤمن الصادق بأن يمنحه الشهادة فخرا له في الدنيا والآخرة .

وقد جاءت بعد الأمر بالجهاد تعقيبات مماثلة لهذه التعقيبات كلها تبين المقصد والحكم من

القتال ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأنفال: 17، ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ محمد: 4

فهذه التعقيبات كلها لبيان الغاية والمقصد من هذه التشريعات والأفعال الإلهية .

ب/ التعقيب بذكر ما في الفعل من مصلحة عاجلة أو آجلة – وما فيه من نفع أو ضر

يكثر في القرآن الكريم ذكره لما في الأحكام التي يشرعها من المنافع في فعل المأمورات والمضار في ارتكاب المحظورات ، وما تؤدي من مصلحة أو مفسدة عاجلة أو آجلة .

ومن أمثلة هذا الأسلوب القرآني ما جاء من التعليل البياني بعد النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله ، أو رفع الصوت على رسول الله ﷺ وعدم تعظيمه المشروع ، مبينا المفسدة العظيمة المترتبة عاجلا في ارتكاب هذا المحظور ، وهي إحباط عمل المخالف في ذلك وإبطاله ، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ الحجرات: 2 .

وكذلك تعليله مبينا المصلحة في مساواة شهادة إمرأتين لشهادة رجل واحد في الشئون المالية ، وذلك لئلا تنسى المرأة الواحدة فيما علمت ، وبذلك تضيع حقوق الناس المالية : ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا﴾ البقرة: 282.

ومثله بيان المصلحة العاجلة للأمر بإقامة الصلاة : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ العنكبوت: 45 ، وكذلك بعد الأمر بأخذ الزكاة المفروضة من المؤمنين عقبها بتعليل مصلحي سببه التطهير والتزكية من الذنوب والمعاصي ، وعلل الأمر بالصلاة على المزكي بأن ذلك يقتضي نزول السكينة على المزكي وأهله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ التوبة: 103 .

وكذلك ما جاء في الأمر بإعداد العدة والقوة المادية والمعنوية للجهاد ضد أعداء الله ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال: 60، فافاد التعقيب بأن الأمر بهذا الإعداد المصلحة فيه إرهاب وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء لردعهم عن الإعتداء بالمؤمنين ، وكفهم من أن تسول لهم أنفسهم بذلك .

وعلل القرآن كذلك في الأمر بتوزيع الثروة المالية الحاصلة من الغنيمة التي ظفر بها المؤمنون من غير خوض في معارك ضارية ضد الكفار – تو زيعها على المستحقين الذين حددهم الله ﷻ معللا مصلحة هذا التوزيع : بأن لا يكون المال حكراً في أيدي طبقة من الناس يمتصون دماء الفقراء المسحوقين الذين تحتهم – كما هو شأن الرأسمالية الغربية اليوم البرجوازيين – : ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ الحشر: 7، فمقصد الإسلام في المال والثروة العامة أن تكون متاحة للجميع يحصل كل فرد على قدر كده وجهده، كما يؤدي الحقوق الواجبة عليه للمجتمع، وبهذا أصبح منهج الإسلام الحنيف وسطا بين نظرية الشيوعية الإشتراكية التي تصادر حقوق الأفراد وجهودهم الفردية المادية لصالح العام ، والرأسمالية الغربية التي تصادر حقوق المجتمع لصالح طبقة معينة منه تملك كل ثروات الناس

وتتحكم في مصيرهم. وسبحان الله! ما أعدل وأعظم منهج دين الإسلام لو أن رجالا يسوقونه في الميادين التي فشلت فيه كل النظريات والمبادئ الأرضية ، وما يعاني فيه العالم اليوم من الأزمة المالية المفتعلة خير مثال على ما نقوله – والله المستعان .

ج/ التعقيب بذكر الباعث – الأسباب – على الخطاب .

ويكثر ذلك في التعليل الجوابي الذي يأتي تعقيبا على سؤال مفترض أو مقدر من طرف المخاطب ؛ فتذكر العلة حينئذ جوابا عن ذلك السؤال المفترض .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في بداية سورة الحج عن القيامة وأهوالها ، ولكنه استهل ذلك بالأمر بالتقوى قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ الحج: 1 ، فالأمر بالتقوى الموجه إلى كل مخاطب جاء بعده تعقيب يفيد سبب الأمربه ، وذلك : أن التقوى هو الزاد الأعظم للقيامة ومنازلها فالتعقيب يقول: «إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ» ، وجيء بهذا التعليل في مقام جواب لسؤال مفترض كأن سائلا سال : لما ذا الأمر بالتقوى فجاء هذا التعقيب التعليلي جوابا لهذا السؤال المفترض الذي جاء مصرحا في آية أخرى من القرآن : ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ البقرة: 197 .

ومن هذا الأسلوب قول يوسف (عليه السلام) في عدم تبرئة وتزكية نفسه :﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يوسف: 53، فعلل ذلك بكون النفس الإنسانية داعية إلى السوء والمخالفة لأمر الله إلا من عصمه الله ﷻ .

وكقوله تعالى في النهي عن الشفاعة للذين ظلموا من قوم نوح معللا ذلك بأن المشفوعين ظلمة مجرمون لا يستحقون الشفاعة، وأنهم استحقوا بذلك الهلاك ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ هود: 37 .

ومثله أيضا قوله تعالى : ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ يس: 76 ، علل سبب النهي عن الحزن والأسى على أقوال الكفار وأذاهم للنبي ﷺ بأن الله يعلم ذلك سره وعلانيته ، وبذلك لن يضروك بشيء لأنك تحت رعاية الله الدائمة .

ومثله أيضاً ما جاء مدحا لدعاء عباد الرحمن واستعاذتهم من عذاب جهنم ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾ ، والباعث على تلك الإستعاذة – قولهم : ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ الفرقان: 65 – 66.

وكقوله تعالى مبينا سبب إستحقاق المتقين لـ»جنات وعيون « : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۝١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ الذاريات: 16 – 17 . – جعلنا الله من أهلها بفضله .

المحور الثالث : أغراض التعقيب بأساليب الخطاب النفسية للتأكيد

هناك أساليب متنوعة يستعملها القرآن غالبا في الدلالة على الأحكام الشرعية دلالة لزومية ، وتقتضي كذلك التأكيد للأحكام الشرعية، ومن ذلك أسلوب المدح والذم ، والوعد والوعيد ، إلخ – وقد سبق أن بحثنا هذه الأساليب عموما – ، وكلامنا عنها في هذا المقام يكون عند ما تأتي تعقيبا على حكم شرعي لتأكيده وتقويته بطرق مختلفة .

ولنبدأ الآن كلامنا عن هذه التعقيبات التي تعتبر خطابا توجيهيا لعواطف النفوس وكمائنها :

1/ التعقيب بالمدح

أ/ التعقيب بمدح الفعل

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ آل عمران: 186، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ

أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: 232، فقوله: «ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ» تعقيب مدح للنهي عن عضل المرأة عند إرادتها الرجوع إلى زوجها الذي طلقها بطلاق رجعي إذا قررا ذلك بالتراضي .

ومثله التعقيب المادح للإستئذان في البيوت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النور: 27.

ب/ التعقيب بمدح الفاعل

كقوله في مدح الصحابة لتأدبهم مع رسول الله ﷺ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ الحجرات: 7، ومدحه للمؤمنين ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ البقرة: 5، ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ الزمر: 18، وكمدحه لأيوب بالصبر ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص: 44.

ومن أمثلته وهو كثير جدا في القرآن ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة: 4، ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: 195، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة: 222 ، ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ۚ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ آل عمران: 146، وكل ذلك جاء بعد أوامر شرعية كحض على الالتزام بها والمداومة على تنفيذها.

2 – التعقيب بالذم

أ/التعقيب بذم الفعل

ومن أمثلته في النهي عن نكاح زوجات الآباء ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ النساء: 22، وكذلك في النهي عن الزنا ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: 32، ومنه أيضا في ذم أفعال اليهود ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ المائدة: 63، وكقوله ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ الأنعام: 136، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: 102.

ب / التعقيب بذم الفاعل:

وهو كثير في أسلوب القرآن، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ البقرة: 229 ، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ التوبة: 10، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ البقرة: 12 ، ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ النساء: 38 ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ الأنبياء: 74 ، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف: 3 .

3 – التعقيب بالترغيب

وهو كثير في القرآن، ولا سيما بعد المواطن التي يخشى منها القنوط واليأس لدى المكلف أو المخاطب بسبب خطئه وجرمه، ويكثر ذلك

في التعقيب بالصفات الإلهية كالغفور والرحيم، والحلم والثواب، وغير ذلك:

أ/ التعقيب بالوعد العاجل

كما في قوله تعالى : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم: 47. ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: 18، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج: 39.

ومن أمثلته بعد أحكام الإيلاء ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة: 226 ، وقوله بعد الوصية ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة: 182 ، وبعد الترخيص بأكل الميتة للمضطر، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة: 173 ، وبعد اللغو في اليمين، ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ البقرة: 225 ، فكل هذه المواطن هي مواطن قد يقع فيها تقصير من المكلف، وقد يصيب في ذلك نوع من الإحباط، فيؤتى بذلك التعقيب للترغيب في التوبة، وقد يكون الترغيب للمشرك ترغيبا له للدخول في الإسلام، ومن أمثلته: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الزمر:53، ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المائدة: 74 .

ب/ التعقيب بالوعد الآجل

وهو أكثر وعود القرآن لأهميته، ولكون الآخرة هي الباقية، كما في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ المؤمنون: 10 – 11، جاءت هاتان الآيتان تعقباً ختامياً على وصف المؤمنين المفلحين .

ومنه قوله تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: 71، ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الحديد: 10، فقوله: «وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ» تعقيب وعد آجل لهؤلاء المنفقين قبل الفتح وبعده .

4 – التعقيب بالترهيب

وذلك لتخويف المقصر من المكلفين حتى لا يغتر بسعة رحمة الله، وذلك قد يكون بتعقيب بالأسماء والصفات كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الممتحنة: 3 ، ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة: 3 ، فكلاهما للتهديد والترهيب.

وقد يكون التعقيب الترهيبي باستعمال مادة التحذير نفسها ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ آل عمران: 28، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ آل عمران: 30 ، وفي هذا المثال الأخير جاء التحذير مقرونا بالترغيب، وهذا الأسلوب موجود بكثرة في أسلوب القرآن، مثل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الأعراف: 167 ، ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ الحجر: 49 – 50 .

بل وقد يستعمل القرآن نصاً واحداً للدلالة على الترغيب والترهيب تكثيرا لمعاني القرآن، كقوله:

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الممتحنة: 3، ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ النور: 28، تستعملان في أسلوب القرآن للترغيب والترهيب حسب سياق النص ومقامه.

فهذه ترهيبات عامة كما يظهر في الأمثلة السابقة ، وبتفصيل آخر نقسمه إلى قسمين :

أ/ التعقيب بالوعيد العاجل

ومن أمثلته قوله تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ التوبة: 74 ، ومثله قوله تعالى مهددا لكفار مكة : ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدِۭ﴾ هود: 83 ، بعد أن قص سبحانه وتعالى عن ما حل بقوم لوط من النكال . ومثله في الوعيد بعقوبة عاجلة : ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ آل عمران: 153 ، بعد قوله تعالى في ارتكاب الصحابة للمخالفة لأمر النبي ﷺ : ﴿إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾ آل عمران.

ومثله العقوبة العاجلة عموما بسبب ارتكاب محظور شرعي ، وذلك كثير في القرآن : ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ يوسف: 42 ، ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ الأنعام: 146، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ الحجرات: 2.

ب/ التعقيب بالوعيد الآجل

وهو أكثر وعيد القرآن ، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: 60، ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: 21، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ المائدة: 10.

5 - التعقيب بالحث أو التهييج

وهذا يأتي بصفة خاصة في أسلوب العدول، وخصوصا في التعبير بالماضي عن المضارع عندما تدخل «إن» الشرطية في فعل الكون (إن كنتم) وذلك يرد في ختام كثير من الآيات لأغراض ومنها:

1/ في الحث واستثارة الهمم:

وذلك للتشجيع على تنفيذ الأمر الشرعي، كقوله تعالى في الجهاد ضد الكفار: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ التوبة: 13، جيء بالشرط المتعلق بالمستقبل لقصد إثارة همتهم الدينية ليبرهنوا على أنهم مؤمنون حقا يقدمون خشية الله على خشية الناس،[1] ومثله في الحث على الجهاد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ آل عمران: 139 ، «قصد به تهييج غيرتهم على الإيمان، إذ قد علم الله أنهم مؤمنون، ولكنهم لما لاح عليهم من الوهن والحزن من الغلبة، كانوا بمنزلة من ضعف يقينه، فقيل لهم: إن علمتم من أنفسكم الإيمان»[2]، والمعلوم أن حرف الشرط «إن» تستخدم للتشكيك في حصول ما دخلت عليه، ولكنها هنا ليست للتشكيك، ولكن من باب

(1) ابن عاشور، المصدر السابق:
(2) المصدر نفسه، 4/ 99.

توكيد المدح بما يشبه الذم. والله أعلم.

2/ التعقيب بالتشنيع على الفعل

وذلك أن حرف الشرط « إن » يقتضي أن يكون ما بعده مستقبلا ، فإذا جيء به ماضيا لفظا ومعنى علم من ذلك : أن المراد تنزيل الماضي المتحقق منزلة غير المتحقق إستهجانا له وتشنيعا على فاعله ، كما يتضمن أيضا معنى عدم التصديق بوقوع الفعل أو استهجانا له .[1]

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ الزخرف: 5، على قرأءة الكسر بالهمز « إن » . ففي هذا التعبير بالشرط «تعيير للمخاطب على الشرط وتصوير أن المقام لاشتماله على ما يقلع الشرط عن أصله لا يصلح إلا لفرضه كما يفرض المحال » .[2]

ولذلك يقول صاحب الكشاف « فإن قلت: كيف استقام معنى « إن » الشرطية ، وقد كانوا مسرفين على البت ؟ قلت : هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير «إن كنت عملت لك فوفني حقي » ، وهو عالم بذلك ولكنه يحيل في كلامه أن يفرط في الخروج عن الحق فقل من له شك في الإستحقاق مع وضوحه استجهالا له»[3].

6/ التعقيب بالإنكار على الفاعل

ويرد غالبا بصيقة الإستفهام الإنكاري للتعقيب باللوم والتوبيخ ، كقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ آل عمران: 65، وقوله تعالى : ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ آل عمران: 183، وقوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ الأحقاف: 20، وقوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ الأحقاف: 34، ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ الصافات: 95.

فكل هذا الإستفهام للإنكار والتوبيخ ، ويقتضي تأكيد نهي الفاعل الذي وقع عليه الإنكار من الشارع . ويدخل بعض اللوم والعتاب على هذا كقوله تعالى: ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ التوبة: 13.

7/ التعقيب بالوعظ والتذكير والتنبيه

ويقع ذلك كثيرا بعد إيراد الأوامر الشرعية، حيث يؤتى لتذكير المرء بالله عز وجل والنصيحة له للإيقاظ من غفلته وسباته، والغرور بمغريات الدنيا والشيطان.

ومن ذلك الأمر بالتقوى والتذكير بالرجوع إلى الله بعد الأحكام الشرعية، وقد مر أن الأمر بالتقوى يؤتى به كتمهيد ومقدمة للأوامر الشرعية، فكذلك هنا يؤتى به كتعقيب مؤكد على الالتزام بهذه الأحكام الشرعية، ومن أمثلته: الأمر بالتقوى بعد الأمر بالاعتزال عن المحيض ثم الإرشاد بمعاشرة المحيض بعد طهارتها، ولكن في مكان الحرث كيف شاء، وقال بعد ذلك معقبا: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة: 223. وهكذا بعد أحكام الطلاق، والأمر بالإمساك إما بعروف أو تسريح بإحسان: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: 231. كما عقب أحكام

(1) ينظر : ظافر العمري ، بلاغة القرآن ، / 370 .
(2) الإيضاح / 180. بتصرف .
(3) الكشاف ، 3/ 378.

الربا وما فيها من وعيد بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ البقرة: 281.

بل يقول الإمام العز بن عبد السلام متكلما عن موضوع التقوى في القرآن: « وأول ما أنزل الله إليه الأمر بقراءة القرآن ومذمة الغنى والطغيان والتخويف بالرجوع إلى الله تعالى بقوله: « إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ » ثم ختم كتابه بنصح جامع فقال تعالى: «وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ» أي اتقوا عذاب يوم ترجعون فيه إلى جزاء الله ، وإنما يتقى عذاب ذلك اليوم بفعل كل واجب وترك كل محرم ثم توفى كل نفس ما كسبت أي جزاء ما كسبت وهذا عام في اكتساب الخير والشر وهم لا يظلمون أي لا ينقص من حسنات محسنهم ولا يزاد على سيئات مسيئهم أمر بالتقوى ثم رغب ورهب بالرجوع إليه توفيه أجور الخير والشر»[1] وهذا الكلام على اعتبار أنها آخر ما نزل من القرآن وذلك رأي جمهور العلماء.

وهكذا ختم آية الدين بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ البقرة: 282.

فالتذكير بتقوى الله عز وجل بعد الأحكام الشرعية منهج أصيل في أسلوب القرآن، سواء في تمهيده للأحكام الشرعية، أو التعقيب عليها.

وقد يؤتى بالتعقيب على صيغة التنبيه باستعمال مادة «الوعظ» كقوله بعد أحكام الطلاق معقبا ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ﴾ البقرة: 231، وكقوله بعد الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها وبالحكم العادل بين الناس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ النساء: 58.

كذلك يستعمل في التعقيب مادة «الإعلام» وذلك كثير في القرآن، ويأتي للتخويف والترهيب، وكذلك للوعظ والتنبيه، كقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ البقرة: 231، فهذا التعقيب للترهيب، وقوله تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُنَّقِينَ﴾ التوبة: 36، وهذا للترهيب، وقوله تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ البقرة: 235، وهذا المثال جمع بين التعقيبين: الترغيب والترهيب معاً.

الخاتمة :

التعقيب القرآني هو جزء مكمل للخطاب التكليفي المقصود بسياق النص القرءاني ، ويكون خادما له بالتأكيد والتقرير ، لحث المكلف على الامتثال والانسياق لتطبيق النص وأغراضه .

النتائج :

- التعقيب القرءاني هو الجزء من الاية الذي يقع في ختام الاية القرءانية ، أو أي مقطع منها مكتمل المعنى سواء في وسط الآية أو في ختامها أو غيرهما لأغراض تأكيدية مختلفة تناسب المقام والسياق .
- نظم الآية القرءانية يكون غالبا من مقدمات وممهدات تأكيدية ومقصد الآية الرئيس ثم لواحق ومتممات تأكيدية .
- التعقيب القرءاني أعم من الفواصل القرءانية وبينهما عموم وخصوص .
- التعقيب القرءاني يظهر جليا في الآية القرءانية طويلة المقاطع، وأحيانا يكون في قصار الآي .
- مصطلح التعقيب القرءاني استعمله الأقدمون كما رأينا عند الشهاب الخفاجي في كتابه الطراز

(1) الإمام في بيان أدلة الأحكام / 75.

قاصدا به الفاصلة ، ونحن استعملناه فيما هو أعم من الفاصلة القرءانية .

- كما أن نظرية (هيكل الآية – أو – أجزاء نظم الآية-) الوحيد الذي رأيت قد أشار اليه بعبارة موجزة هو الإمام المقاصدي المفسر العز بن عبد السلام .
- يعقب القرءان مقاصده وتشريعاته بتعقيبات أساسية أعظمها :-
- التعقيب بالصفات والأسماء الحسنى العلية
- التعقيب بالصفات الإنسانية والخصائص النفسية .
- التعقيبات العامة
- التعقيب القرءانية ليست كلها مجرد تأكيد لأحكام سبقتها في السياق فقط ، وإنما قد تفيد حكما جديدا .
- التعقيب بالصفات والأسماء الحسنى يكون بما يناسب سياق الحكم السابق عنها ، وهو أمر في غاية الدقة من التناسب البياني في الخطاب القرءاني.
- يعقب القرءان خطابه التكليفي بصفات إنسانية تناسب المقام وجبلة المخاطب المكلف كإنسان.

المصادر

- القرآن الكريم
- أبو زيد ، أحمد ، التناسب البياني في القرآن ، الناشر : جامعة محمد الخامس ، المملكة المغربية (1990م).
- الزركشي ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : دار المعرفة- بيروت، (1391 هـ).
- السلمي ، الإمام أبو محمد عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام ، الإمام في بيان أدلة الأحكام ، الناشر : المكتبة الشاملة ، الإصدار الثالث .
- الإشارة إلى الإيجاز ، الناشر : دار الحديث – القاهرة (بدون).
- سيبويه ، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار النشر: دار الجيل ـ بيروت (بدون).
- سيد قطب، بن إبراهيم ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (1395 هـ 1975 م).
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق سعيد المندوب ، الناشر دار الفكر- لبنان (1416 هـ 1996 م) .
- الشهاب الخفاجي ، أحمد بن محمد ، حاشية الشهاب (عناية القاضي وكفاية الراضي) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت (بدون).
- ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي ، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، الناشر : مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة : الأولى، (1420 هـ/ 2000م) .
- المطعني ، عبد العظيم إبراهيم ، خصائص التعبير القرآني ، مكتبة وهبة – القاهرة ، الطبعة الأولى (1412 هـ ، 1992 م).
- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ، الناشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى (بدون) .